

## المحاضرة الرابعة علاقة الفلسفة بالمعارف والعلوم:

### أ - علاقة الفلسفة بالدين:

طبيعة العلاقة بين الفلسفة والدين هي بحق مسألة تستحق الإهتمام والدراسة، وهذا للطبيعة التاريخية لتلك العلاقة فقد استخدمت بالفعل أي الفلسفة عند القدماء الشرقيين كأداة لخدمة الدين وتأكيد المعتقدات الدينية واستخدمت في العصور الوسطى كأداة للتوفيق بين الحكمة والشريعة واستخدمها علماء اللاهوت في الغرب وعلماء الكلام في الإسلام للدفاع عن العقيد الدينية. فقد رأى القديس انسلم مثلا أن الايمان ضروري للعقل وشرط أساسي لصحة التفكير وفي أوروبا في العصور الوسطى حدد علم اللاهوت مهمته في البحث في مسألة الإلهيات بصورة منطقية وبالتحليل العقلائي وهذا لفهم العقيدة المسيحية، والدفاع عنها في وجه الانتقادات الموجهة اليها مع محاولة تسهيل الإصلاح الديني ونشر المسيحية وهذا على غرار ما فعله الألماني مارتن لوتر مؤسس المذهب البروتستانتي.

أما في الإسلام فإن العلاقة بين الفلسفة والدين فتظهر في ذلك العلم الذي أسسه الفلاسفة المسلمون وهو علم الكلام ( الفقه الأكبر علم التوحيد)، حيث ذهب هؤلاء للدفاع عن العقيدة الإسلامية بواسطة الكلام أو القول الفلسفي أو عن طريق الحجاج الفلسفي والبرهان العقلي، ولا أدل على هذه العلاقة من موقف فيلسوف قرطبة القاضي أبي الوليد بن رشد يقول: " فعل الفلسفة ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم، كانت المعرفة بالصانع أتم".

وإلى جانب كل ما قيل، فإننا نشير إلى أنه يوجد تخصص فلسفي هو فلسفة الأديان والتي تبحث في المفاهيم الكلية التي يستخدمها علم اللاهوت وتدرسها دراسة نقدية مثل مفهوم الله، علاقة الله بمخلوقاته، مفهوم النفس، خلودها... الخ، وذلك من أجل إثبات وجودها، أو إنكارها، أو إعطائها صورة غير الصورة التي رسمها لها الوحي والدين.

### ب/ علاقة الفلسفة بالعلوم:

إن طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلم تظهر من خلال مستويين هما:

**المستوى الأول:** إن الانسان كلما طرح أسئلة كعاداته وحصل من ورائها إجابات ناجحة، ثابتة، ودقيقة شكلت هذه الإجابات جانباً من رصيدهما في المعرفة العلمية أي صارت وأصبحت علماً، ومن هنا فكل الموضوعات العلمية الراهنة كانت تعتبر جزءاً من الفلسفة ومثال ذلك أن الفلسفة في بحثها عن المادة وتركيبها وتفسيرها كانت تشمل الفيزياء، الكيمياء، الطب، والبيولوجيا... الخ، والفلسفة في مسعاها المتعلق بمحاولة فهم العقل والنفس كانت تشمل ما أصبح يسمى اليوم علم النفس.

**المستوى الثاني:** إن ما يسمى الآن بفلسفة العلوم لهو دليل واضح على مدى متانة وقوة الارتباط بين الفلسفة والعلم، هذه الفلسفة عبارة عن حركة نقدية تحليلية لمبادئ ومفاهيم، ومناهج العلم، وتشكل النظريات العلمية ومسارها التاريخي، ومن بين الاسئلة التي تطرحها فلسفة العلوم- ما هي العلاقة بين القانون العلمي والملاحظة، والتجربة؟ ما هو الفرق بين المعرفة العلمية في العلوم الطبيعية والمعرفة العلمية في العلوم الاجتماعية؟ هل المعرفة العلمية مبنية على التراكم والتواصل

أم أنها تقوم على نوع من الثورات العلمية والقطيعة المعرفية؟ هل المعرفة العلمية مطلقة أم نسبية؟ ، إن كل هذه الاشكاليات وغيرها هو ما يمثل صميم العلاقة الجوهرية والتاريخية بين الفلسفة والعلم. هذا ونشير إلى أنه ثمة علاقة وطيدة بين مختلف العلوم الانسانية والفلسفة رغم الانفصال النسبي بينهما(1) فعلم السياسة على سبيل المثال هو ذلك العلم الذي يدرس عامة حقوق وواجبات الأفراد وعلاقة الأفراد بالسلطة في إطار الحكومة، والمؤسسات السياسية والعمليات التي ترتبط بها، حيث يستند علم السياسة في نشأته إلى "محاورة السياسة" لأفلاطون وكتاب "السياسة" لأرسطو، بالإضافة إلى أنه تطور على يد فلاسفة من أمثال ميكافيلي، توماس هوبز، مونتيسكيو، جون لوك... الخ.

أما عن علاقة الفلسفة بعلم التاريخ فتظهر من خلال ما يعرف بفلسفة التاريخ التي تهتم بدراسة الأحداث التاريخية بهدف الكشف عن النظريات الفلسفية التي تفسر حركة التاريخ والقوانين التي تتحكم في هذه الحركة، وكنموذج عن هذه الاشكاليات التي تطرحها فلسفة التاريخ في هذا السياق نجد إشكالية تفسير التاريخ فهناك من الفلاسفة من ذهب لتفسير التاريخ تفسيرا غائيا، وهناك من فسره تفسيرا روحيا، وهناك من فسره تفسيرا ماديا (2)

---

1 استقلت الفيزياء عن الفلسفة في القرن 17م بفضل "غاليلو، وديكارت، ونيوتن"، واستقلت الرياضيات في القرن 17م أيضا والكيمياء في القرن 18م على يد "لافوزييه"، والبيولوجيا على يد كل من "برنارد، ولا مارك" في القرن 19م، وأخيرا العلوم الإنسانية والاجتماعية في النصف الثاني من القرن 19 م على يد أوغست كونت.

2 هناك العديد من النظريات التي فسرت التاريخ من بينها نظرية التعاقب الدوري التي قال بها كل من ابن خلدون، وفيكو ونظرية العناية الإلهية عند "القديس أوغستين" ونظرية التقدم الإنساني مع "فولتير وكوندرسيه".